ذاكرة العرب

مجلة ربع سنوية - العدد الثاني - إبريل ٢٠١٩

الفهرس

تقديم	٣
سجلماسة... ١٣٠٠ عام على تأسيس أول حاضرة إسلامية بالمغرب الأقصى	٤
مدينة زبيد اليمنية وتحصيناتها	١٦
البيوت الدمشقية... كنوز معمارية فنية وأسرار تاريخية	٣٠
خان أسعد باشا العظم في مدينة دمشق	٥٠
زينة الرأس للمرأة التونسية... تراث ثقافي وحضاري	٦٤
سلامات من يافا وحيفا والناصرة والقدس الشريف	٨٨
السنع وأصوله... الأقوال الشعبية المتداولة في المناسبات الاجتماعية في دول الخليج العربي	٩٨
تاريخ غزة في نهاية العصر العثماني... قراءة من خلال شواهد القبور	١١٤
ملحمة السيرة الهلالية	١٢٨
إطلالة على البن اليمني	١٣٠
قراءة لوثيقة نادرة تقنن بيع الخيل في عهد الملك عبد العزيز	١٣٤
هرابات المياه النبطية في سيناء	١٤٢
ملف خاص: ما قبل التاريخ في الوطن العربي	
- آثار ما قبل التاريخ في العالم العربي والإرهاصات الأولى للحضارة	١٥٠
- الفن الصخري الموريتاني	١٦٢
- الملامح الثقافية لما قبل التاريخ في اليمن	١٧٤
- تاسيلي... تراث عربي مجهول	١٧٨

BIBLIOTHECA ALEXANDRINA
مكتبة الإسكندرية

SPecial Projects
إدارة المشروعات الخاصة

المشرف العام
مُصْطَفى الفِقي
مدير مكتبة الإسكندرية

رئيس التحرير
خَالِد عَزَب
khaled.azab@bibalex.org

سكرتير التحرير
سُوزَان عَابِد
susan.abed@bibalex.org

المراجعة والتصحيح اللغوي
فاطِمَة نَبيه
مُحَمَّد حَسَن

التصميم الجرافيكي والخطوط
الحَسَن عِصَام
خَالِد مُصْطَفى

الإسكندرية، إبريل ٢٠١٩

طُبعت برعاية
OFID
THE OPEC FUND FOR INTERNATIONAL DEVELOPMENT
Uniting against Poverty

خان أسعد باشا العظم
في مدينة دمشق

بقلم: الدكتور غزوان ياغي

كان للموقع الهام لمدينة دمشق تأثير كبير في محافظتها على نشاطها التجاري عبر تاريخها الطويل. وفي العصر الإسلامي، أدى هذا النشاط لظهور عدد كبير من العمائر التجارية المميزة فيها كالأسواق والخانات[1]، التي ازدهرت عمارتها في ظل الاستقرار السياسي الذي شهدته دمشق منذ أواسط القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي وما بعدها؛ حيث شهدت نموًّا تدريجيًّا في حركة بناء الأسواق حتى تحول بعضها عبر الزمن لأحياء، لم تلبث أن اتصلت بالمدينة القديمة مثل حي ساروجا ثم حي السويقة، الذي امتدت الأسواق بمحاذاته بين منطقة الشاغور وقصر الحجاج، واندمجت مع أسواق باب مصلى والميدان، وامتدت حتى باب الجابية والقلعة، لتشكل بذلك محورًا تجاريًّا حافظ على أهميته لعقود قليلة مضت.

فقد تسببت زيادة النشاط التجاري في نشوء العديد من الأسواق الجديدة خارج أسوار مدينة دمشق وداخلها أيضًا؛ حيث ظهر سوق جقمق في وسط الشارع المستقيم، كما حافظت أسواق داخل المدينة على نشاطها الكبير وعلى تخصصاتها في بيع كل نفيس وغالٍ؛ كالعطور (سوق المسكية والعنبرانية)، والحلي (سوق الصاغة)، والبهارات (سوق البزورية)، والأقمشة (سوق الحرير وسوق الذراع وسوق الخواصين)، والجواري (سوق المارستان وسوق الشيخي)، والأسلحة (سوق السلاح) وغيرها[2].

وقد استمر هذا النشاط بعد دخول العثمانيين لدمشق، فظهر سوق مدحت باشا سنة ١٢٩٥هـ/ ١٨٧٨م، ثم سوق الحميدية الذي بني على مرحلتين؛ ١١٩٥هـ-١٧٨٠م و١٣٠١هـ-١٨٨٣م. كما تغيرت بعض أسماء الأسواق القديمة، ولكنها استمرت جميعها تقوم بدورها المتخصص في منح دمشق هذه السمعة التجارية التي ما زالت مرتبطة بها حتى الآن.

وكانت الخانات أيضًا من أهم العمائر التجارية التي نافست شهرتها الأسواق الدمشقية نفسها؛ حيث اشتهرت دمشق وحلب خاصة وسورية عامة بالعناية بإقامتها والتأنق في عمارتها، وكذلك بتقدير دورها والمحافظة عليها حتى تحول بعضها إلى نقاط جذب عمراني، كما حصل مع خان العسل بالقرب من حلب؛ حيث كان سببًا في وجود قرية خان العسل الباقية حتى اليوم حوله.

والخانات في العمارة الإسلامية عمومًا هي عمائر تجارية تبنى لتكون مكانًا يقصده التجار للاستراحة وبيع ما يحملونه من سلع، «وهي كلمة فارسية الأصل بمعنى منزل مؤثث أو نُزل مفروش مهيأ للطعام والشراب والنوم، وهو أيضًا دكان أو حانوت كبير للتجار».

(١) ولعل أقدم خان أنشئ في هذا العصر هو الذي بناه الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك عام ١٠٩هـ/ ٧٢٨م، بمكان غير بعيد عن قصر الحير الغربي في البادية السورية.

(٢) ذكر أبو المحاسن يوسف بن عبد الهادي الدمشقي، المعروف بابن المِبْرد في أوائل القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي، في رسالة باسم «نزهة الرفاق عن شرح حالة الأسواق»؛ أن عدد الأسواق في دمشق كان يبلغ ١٤٨ سوقًا.

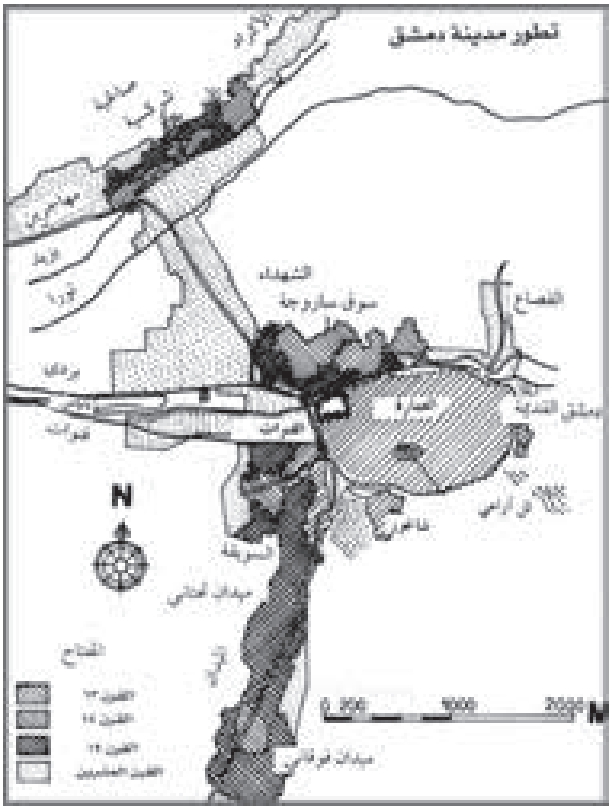

تطور عمارة مدينة دمشق بعد القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي.

وبشكل عام، فإن الخانات في سورية نوعان؛ الأول: خانات الطرق: وهي التي تبنى على طرق التجارة خارج المدن، وقد انتشرت على طرق القوافل الممتدّة بين المدن في بلاد الشام، وكانت المسافات بين الخانات تحدّد بمسيرة يوم أو ما يقرب من ثلاثين كيلو مترًا[3]، مثل خان العسل وخان السبل على طريق حلب حماة، وخان العروس شمالي دمشق القريب من مفرق معلولا على الطريق المتجه إلى حمص. أما الثاني: فهو خانات المدن: وهي التي تبنى داخل المدن على شكل عمائر تكمِّل الأسواق، وترتبط بها، وتقوم بوظائف مساعدة لها.

وقد ازدهرت عمارة الخانات[4] داخل المدن وخارجها. ومع الاستقرار السياسي الذي شهدته سورية منذ مطلع القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي، وبالتحديد منذ بداية العصر

(٣) يذكر ابن جبير في رحلته: «ونزلنا بقرية كبيرة للنصارى المعاهدين تعرف بالقارة وليس فيها من المسلمين أحد، وبها خان كبير كأنه الخان المشيد في وسطه صهريج كبير مملوء يتسرب له تحت الأرض من عين على البعد، فهو لا يزال ملآن، فأرحنا بالخان المذكور إلى الظهر، ثم رحلنا منه إلى قرية تعرف بالنبك بها ماءٌ جارٍ ومحرثٌ متسع، فنزلنا بها للتعشية، ثم رحلنا منه بعد اختلاس تهوية خفيفة. وأسرينا الليل كله، فوصلنا إلى خان السلطان مع الصباح، وهو خان بناه صلاح الدين صاحب الشام. وهو في نهاية الوثاقة والحسن، بباب حديد على سبيلهم في بناء خانات هذه الطرق كلها واحتفالهم في تشييدها، وفي هذا الخان ماء جارٍ يتسرب إلى سقاية صغيرة مستديرة حول الصهريج ثم يغوص في سرب في الأرض. والطريق من حمص إلى دمشق قليل العمارة إلا في ثلاثة مواضع أو أربعة، منها هذه الخانات المذكورة، فأقمنا يوم الأربعاء الثالث والعشرين لربيع المذكور بالخان المذكور مريحين ومستدركين للنوم إلى أول الظهر، ثم رحلنا وجزنا بثنية العقاب ومنها يشرف على بسيط دمشق وغوطتها».

(٤) ومن الواضح أن مصطلح «خان» قد توسع استخدامه منذ القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي، ليحلّ محلّ كلّ المسميات السّابقة التي أطلقت على استراحات المسافرين في الفترات السابقة، مثل مصطلح «الدار» الذي شاع في سورية والعراق خلال القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي للدلالة على هذه الاستراحات، وكذلك مصطلحا «دار الوكالة» و«سراي القوافل» اللذان كانا يستخدمان للدلالة على استراحات التجار داخل المدن في القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي، ثم مصطلحا «الفندق» و«القيسارية» اللذان شاعا في القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي.

المملوكي وما بعده؛ صار كل خان منها متخصصًا في أنواع محددة من المتاجرات؛ مثل خان الزيت وخان الصابون وخان الكتان وغيره في مدينة حلب، وخان الجمرك وخان الحناء في حماة، وخان الحرير وخان البطيخ وخان التتن وخان الجوخية في دمشق. كما حملت بعض الخانات أسماء منشئيها؛ مثل خان قدرت بك ابن خسرو باشا وخان الوزير في حلب، وخان أسعد باشا وخان رستم باشا في حماة، وخان جقمق وخان أسعد باشا العظم في دمشق، وكذلك خان أسعد باشا العظم المشهور في معرة النعمان.

ويوجد اليوم في مدينة دمشق حوالي عشرين خانًا يعود أكثرها إلى العهد العثماني، باستثناء خانين فقط هما خان الدكة وخان جقمق اللذان يعودان إلى العهد المملوكي.

وعمومًا، فإن التشابه الكبير للخان من حيث عمارته ووظيفته، مع الأنواع الأخرى الأقدم أو الأحدث للعمائر التجارية (الفندق والقيسارية والوكالة)، التي عرفت في سورية والدول المحيطة بها؛ أدى إلى الخلط عند حديث المؤرخين والرحالة عنها؛ فقد قال ابن جبير عند زيارته لدمشق أواخر القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي: «وأسواق هذه البلدة من أحفل أسواق البلاد وأحسنها انتظامًا وأبدعها وصفًا، ولا سيما قيسارياتها، وهي مرتفعات كأنها الفنادق مثقفة كلها بأبواب حديد كأنها أبواب القصور، وكل قيسارية منفردة بصيغتها وأغلاقها الجديدة»[٥].

وقد شُيّدت الخانات عمومًا على طرز تؤمِّن راحة المسافرين، وتلبي احتياجاتهم، وتسهل قيامهم بعملية بيع سلعهم. وعمومًا، فقد عُمّر الخان بمسقط مربع أو مستطيل يتوسطه فناء واسع مكشوف، وتتوزع حوله أربعة أضلاع بطابقين (أرضي وأول) يصل ارتفاعهما إلى ثمانية أمتار؛ حيث يحتوي الطابق الأرضي على غرف متعددة وواسعة ومناسبة لخزن البضائع، إضافة لوجود إسطبل واسع. بينما يحتوي الطابق الأول على غرف صغيرة، وتفتح على رواق متقدم، يلتف حول الأضلاع الأربعة للخان، ويُفتح على الفناء بعقود محمولة على دعامات، وتستخدم الغرف للنوم أو كفندق يحتوي على غرف فخمة لنزول التجار الأغنياء والوجهاء، وأخرى عادية لنزول المسافرين والناس العاديين. وجاءت الواجهات الخارجية للخانات مرتفعة حصينة تؤمِّن حماية مَن فيه من اللصوص والشذاذ. وعليه، فأغلب الخانات ذات مدخل وحيد ضخم، يسمح بدخول القوافل، مزود بباب كبير بمتاريس تشبه أبواب الحصون، ويحتوي الخان عادة على مسجد صغير.

ويعتبر خان أسعد باشا في مدينة دمشق من أهم أمثلة الخانات الباقية في مدينة دمشق خاصة وربما في العالم الإسلامي عامة، سواء أكان ذلك في فخامة البناء أم في روعة التصميم أم في تفرد المدخل وزخارفه. وهو أشهر وأكمل الخانات الدمشقية، وظف له المعماري قمة ما وصل له تطور عمارة الخانات في العمارة الإسلامية، فجاء قمة في التكامل من ناحية التصميم والتنفيذين المعماري والزخرفي.

يقع هذا الخان في وسط مدينة دمشق القديمة داخل الأسوار، جنوبي الجامع الأموي، في منتصف سوق البزورية على يمين الداخل إلى السوق من جهة سوق مدحت باشا؛ حيث يحده شمالاً حمام نور الدين الشهيد والمدرسة الكاملية التنكزية، ويحده جنوبًا خان

(٥) يلاحظ أن هذا الخلط ليس بغريب؛ حيث قام المقريزي عند ذكره للعمائر التجارية بالقاهرة بوضع الخانات والفنادق والوكايل تحت باب واحد نظرًا لتشابهها من حيث المباني ومن حيث الغرض والاستعمال، كما أن الخلط بين الفنادق والخان موجود أيضًا في الوثائق. كما وردت اسم «القيسارية» في سجلات المحكمة الشرعية في حماة بحوادث سنة ٩٥٠هـ/ ١٥٤٣م. ومن المؤكد أنه بالرّغم من شيوع استخدام مصطلح «خان» في العصر المملوكي ثم العثماني، لم يكن ذلك يعني انتفاء استخدام مصطلحات «الفندق والوكالة والقيسارية»، ويبدو أن استخدامها خضع لمزاجية ارتبطت بالأشخاص أو بالمدن وبالأقاليم؛ حيث تتعدد الأمثلة لذلك سواء بين المدن السورية أو بين سورية والأقاليم المحيطة، مثل مصر التي شاع فيها استخدام لفظ «الوكالة» بشكل أكبر من الألفاظ الأخرى التي ذكرناها.

بعض أهم الخانات الباقية في مدينة دمشق.

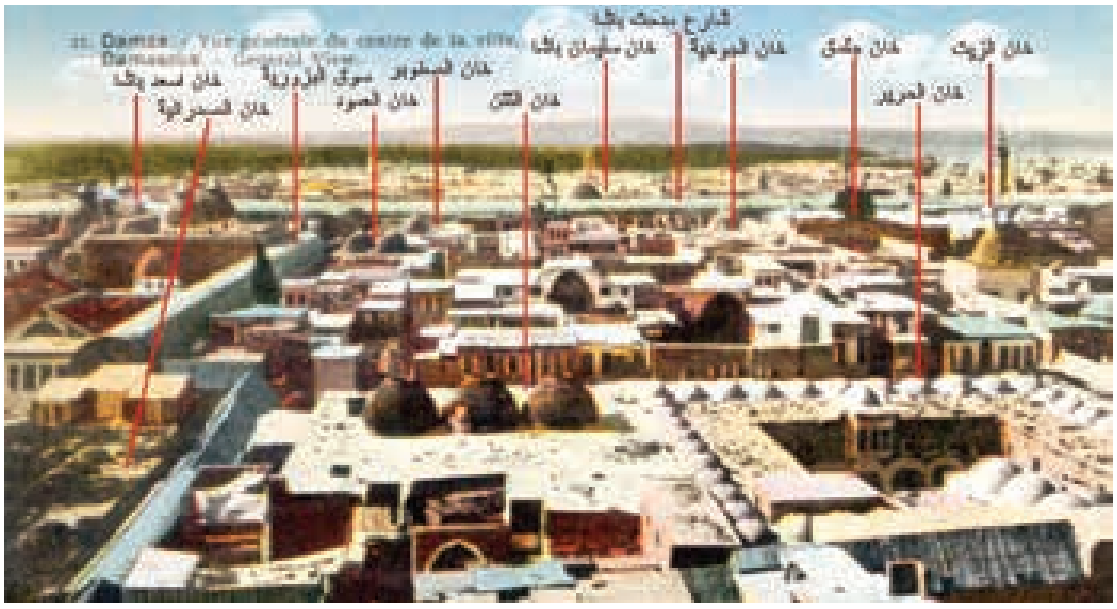

الرز ويفصل بينهما جادة سوق الصقالين/ سوق الورق، ويحده شرقًا زقاق السلمي والبيوت العربية القديمة، ويحده غربًا خان العمود ويفصل بينهما سوق البزورية الشهير.

شَيّد هذا الخان الوالي أسعد باشا العظم[٦] - الذي حكم دمشق بين عامي ١١٥٦-١١٦٦هـ/ ١٧٤٣-١٧٥٦م - حيث بدأ ببنائه في عام ١١٦٦هـ/ ١٧٥١م وأتمه عام ١١٦٧هـ/ ١٧٥٣م[٧]، واستمر بناؤه أربعة عشر شهرًا، فجاء كامل الحسن والهيئة. وذكر البديري الحلاق الذي عاصر أسعد باشا، وسجّل في يومياته ما كان يحدث في دمشق؛ في حوادث شهر ربيع الثاني من عام ١١٦٦هـ ما نصه: «وفي تلك الأيام من هذه السنة شرع حضرة أسعد باشا في عمارة القيسارية[٨] التي في البزورية التي عز نظيرها في الدنيا، وذلك بعد ما هدم قيساريتين ودور ودكاكين وجعلها قيسارية واحدة بهذه الصفة التي لا نظير لها». ثم يذكر في حوادث السنة اللاحقة ١١٦٧هـ/ ١٧٥٧م: «وفي ذلك العام من شهر محرم الحرام تمت قيسارية أسعد باشا والي الشام الذي لم يعمل مثلها في سائر بلاد الإسلام، وقد تم بناؤها بعد سنة وشهرين»، قال المؤرخ: «وقد بلغني أنه صرف عليها في كل يوم من الآلات والأجر ألف ومئة غرش، ولكن كما قال القائل: جزى الله الواسعة كل خير».

وفي سنة ١١٧٣هـ/ ١٧٥٩م، ضرب مدينة دمشق زلزال سقط على إثره ثلاث من قباب هذا الخان. وقد أراده المنشئ أهم وأكبر خانات طريق الحرير وطريق الحج الشامي.

وقد حافظ هذا الخان على دوره التجاري الهام، إضافة لكونه محطة بارزة للاستراحة والإقامة كانت تفد إليها القوافل، وكان يقصده كبار التجار من كل صوب. وقد استمر يقوم بوظيفته هذه حتى بداية القرن العشرين؛ حيث انتقلت ملكيته إلى التجار، فاستخدموه في تخزين بضائعهم حتى بداية الثمانينيات حين أخلي الخان من شاغليه بعد صدور قرار استملاكه لصالح وزارة الثقافة؛ المديرية العامة للآثار والمتاحف، والتي قامت بدورها بترميمه وإعادة تأهيله؛ حيث أصبح الآن منبرًا ثقافيًّا ومكانًا للكثير من الفعاليات الثقافية والفكرية والفنية، وقبلة سياحية لكل الزائرين الذين يقصدون مدينة دمشق.

(٦) هو أسعد إسماعيل العظم، المشهور بأسعد باشا العظم (١٧٠١هـ-١٧٥٧م): هو أسعد بن إسماعيل الوزير ابن الوزير، يقال إنه من مواليد معرة النعمان سنة ١١١٧هـ، ولي على حماة عام ١١٥٤هـ، ثم ولي على دمشق التي حكمها خوالي أربعة عشر عامًا، وكان أميرًا لموكب الحج الشامي، حيث كان من أهم شروط تعين وبقاء والي دمشق هو المتابعة والحفاظ على موكب الحج محمل الحج الشامي. وكان أسعد باشا على درجة كبيرة من الحنكة والفطنة، الأمر الذي أهله لمواجهة ما يعتريه للوصول إلى مبتغاه. قد درس اللغات العربية والتركية والفارسية والعلوم. وكان مولعًا بركوب الخيل والعمران، وقد شهد عصره الكثير من بناء القصور والخانات والحمامات، ولعل أشهر المباني التي أنشأها وقت حكمه والتي ما تزال قائمة إلى الآن هي:

١- قصر العظم في حماة عام ١٧٤٠م.

٢- كان خان أسعد باشا ملكًا خاصًا للعظم، وهو حاليًّا ملك مديرية الآثار في دمشق.

٣- قصر العظم، بناه في الجهة الجنوبية من المسجد الأموي عام ١٧٤٩م كبيت له، قام بإلزام أهل دمشق بتقديم أجمل ما في بيوتهم من رخام وبلاط وأبواب ونوافذ وكل ما يلزم لبناء القصر. وقد بني القصر في صحن معبد جوبتير. وادعى بعض المؤرخين أنه بني فوق دار لمعاوية بن أبي سفيان.

٤- كما ينسب إليه بناء حمام الأسعدية، وهو يقع في سوق دمشق القديمة.

(٧) يلاحظ كتابة هذا التاريخ بشكل خاطئ على اللوحة الرخامية المثبتة حديثًا على كتلة مدخل الخان؛ حيث كتب تاريخ البناء ١١٦٣هـ/ ١٧٤٩م.

(٨) لاحظ هنا استخدام الحلاق في القرن الثاني عشر الهجري/ الثامن عشر الميلادي لاسم القيسارية بدلًا من الخان؛ وكان ابن جبير قد استخدم نفس الاسم كما أوردنا سابقًا في أواخر القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي.

مخطط دمشق القديمة، ويظهر فيه موقع خان أسعد باشا العظم في دمشق.

كتلة مدخل خان أسعد باشا العظم في دمشق، عام ١٨٧٠م.

يقع الخان على مساحة شبه مربعة تقدر بـ ٢٥٧٢,٨م٢، وللخان أربع واجهات أهمها الواجهة الغربية الرئيسية التي تفتح على سوق البزورية بطول سبعة وأربعين مترًا، والتي بها عددٌ من الدّكاكين (عددها الأصلي أربعة عشر دكانًا)، إضافة لباب يتوصل منه اليوم لمسجد كان ملحقًا بالخان. بينما تمتد واجهته الجنوبية المطلة على خان الرز وسوق الصقالين (سوق الورق الآن) إلى حوالي اثنين وخمسين مترًا تتوزع فيها الدكاكين التجارية (عددها الأصلي سبعة عشر دكانًا). أما الواجهة الشرقية المطلة على زقاق السلمي فهي خالية من العناصر المعمارية أو الزخرفية، وتطل على زقاق الحي المجاور، وكذلك واجهته الشمالية الملاصقة للحمام والمدرسة الكاملية.

أما المدخل الرئيسي للخان فهو عبارة عن حُجْر غائر يفتح للخارج بثلاثة عقود مدببة ومتداخلة، يرتكز كلٌّ منها على عمودين مدمجين، وحلي بدن كلٍّ منها بزخارف حلزونية محفورة، وملئت ريشتا العقد الداخلي منها بصفوف من المقرنصات المتصاعدة، وتنتهي قمته من الأعلى بشكل صَدَفة مضلعة، وأسفل هذا التكوين يوجد نقش كتابي محفور وسط جامة نصف دائرية بها نقش يؤرخ لتأسيس الخان كما يلي:

(لله خان للخير يقصد)، (بالسعد واليمن قد تشيد)، (وسامت النجم في سمو)، (فالزهر عقد له قد تجدد)
(أنشأه صدر شهم كريم)، (خدن المعالي الوزير أسعد)، (تاريخه قد أتى ببيت)، (باللؤلؤ الرطب قد تنضد)
(بني خان بني بيمن)، (الأوحد الأسعد الممجد)
(سنة ١١٦٦)

ويوجد على جانبي حجر المدخل مكسلتان حجريتان، كما يوجد على جانبي كتلة المدخل للخارج دخلتان جداريتان كبيرتان، تنتهي كلٌّ منهما للأعلى بعقد مدبب، حيث كان يتدفق الماء فيهما لسقاية الناس، ويعلو كلٌّ منهما قمرية ذات إطار زخرفي محفور، ويغشي كلٌّ منهما مصبعات حديدية.

صورة قديمة تظهر تفاصيل القسم العلوي من كتلة مدخل خان أسعد باشا العظم في دمشق.

خان أسعد باشا العظم في دمشق، عام ١٨٧٠م، من الداخل.

ويتوسط كتلة المدخل للأسفل فتحة معقودة، مثبت خلفها باب الدخول الرئيسي للخان الذي هو عبارة عن باب خشبي كبير ذي مصراعين مصفحين بالحديد، يفتح بوسط أحدهما خوخة صغيرة، ويُدخل من الباب لدهليز طوله عشرة أمتار وعرضه أربعة، مغطى بقبوين متقاطعين، يتوصل منه على يمين ويسار الداخل لدَرَجين يؤدي كلٌّ منهما للطابق العلوي، وينتهي الدهليز بعقدٍ مدبب يفتح مباشرة على فناء الخان.

أما الفناء فهو مربع الشكل، طول ضلعه سبعة وعشرون مترًا، مبلط بالحجر البازلتي الأسود، تتوسطه بَحرة كبيرة مضلعة الشكل وفي وسطها نافورة، يغطى الفناء بتسع قباب، الوسطى منها مفتوحة على السماء، وكل القباب محمولة على عقود حجرية تستند على الجدران، وترتكز في الوسط على أربع دعامات حجرية ضخمة.

وهذه القباب التسع متماثلة، ويبلغ قطر كلٍّ منها ثمانية أمتار، وترتفع عن أرض الخان بحدود اثنين وعشرين مترًا، وتتألف كلٌّ منها من قاعدة محمولة على أربعة عقود مدببة كبيرة، تحصر بينها أربعة مثلثات كروية، يعلوها رقبة القبة التي تحتوي كلٌّ منها على ستة عشر ضلعًا، فتح في كلٍّ منها نافذة معقودة، خشبية مغشاة بالجص المعشق بالزجاج، أما خوذ القباب فهي مبنية بالآجر ومزينة في الداخل بزخارف هندسية ونباتية، منفذة على الجص الأبيض، وقد فتح بقمة القباب الأربع التي تقع في الزوايا منور خشبي، يرتفع من الخارج عبر قمة القبة، ويغلق عليه من الداخل نوافذ خشبية مغشاة بالزجاج المعشق، وينتهي كل منور من الأعلى بسقف هرمي؛ حيث يساهم كلٌّ منها في تأمين إنارة إضافية للخان تقدم انسجامًا لا مثيل له في توزع الضوء والظل في جوانب الخان.

وأثناء مشروع ترميم الخان الذي قامت به المديرية العامة للآثار والمتاحف عام ٢٠٠٥م، وزودت القبة الوسطى المفتوحة بسقف مسطح معدني مزجج وقابل للفتح والإغلاق هيدروليكيًّا عبر محركات خاصة لهذا الغرض، كما تمَّ آنذاك إعادة بناء وترميم القباب الأخرى التي كانت متهدمة.

ويتألف الخان من طابقين تتوزع واجهاتهما الأربع حول الأضلع الأربعة للفناء، في واجهات حجرية مبنية بطراز الأبلق، تتناوب مداميكها بين اللونين الأبيض والأسود، والجزء العلوي من هذه الواجهات مؤلف من أقواس رواق الطابق الأول، وعددها اثنتا عشرة قوسًا، وتتميز بأبعادها ذات الانسجام المعماري الكبير، ويلاحظ وجود تناظر هندسي لافت بين قباب الوسط والزوايا والفتحة السماوية.

ويتألف الطابق الأرضي من ثلاثة وعشرين مخزنًا، مصمّم كلٌّ منها بشكل مستقلّ، معظمها عبارة عن أجنحة ثنائية أو ثلاثية، كل جناح منها يتألف من غرفة أمامية أبعادها الوسطية ٣,٥×٦ أمتار، وكانت تستخدم كمكتب، ويليها في الداخل غرفة أو غرفتان، أبعادها الوسطية ٤×٦ أمتار، وكانت تستخدم كمخازن للبضاعة، ويتوصل عبر فتحة دهليز في وسط الواجهة الداخلية الشمالية إلى ملحقات خدمية خاصة بهذا الطابق، ويبلغ عدد غرف هذا الطابق في مجملها أربعين غرفة، من ضمنها الغرفة التي تقع على يمين الداخل من باب الدخول الرئيسي والتي تستخدم اليوم كمكتب أو غرفة استقبال. وتطل واجهات هذه الأجنحة على الفناء بأبواب وشبابيك خشبية، غشيت الشبابيك منها بمصبعات أصلية من الحديد.

أما الطّابق العلوي (الأول) فيتوصل إليه عبر الدَّرَجين المتقابلين الواقعين في دهليز المدخل على يمين ويسار الداخل من الباب

الزخارف المنفذة أسفل خوذات قباب خان أسعد باشا العظم في دمشق.

القباب التي تغطي فناء خان أسعد باشا العظم في دمشق.

مسقط الطابق الأرضي لخان أسعد باشا العظم في دمشق.

مسقط الطابق العلوي لخان أسعد باشا العظم في دمشق.

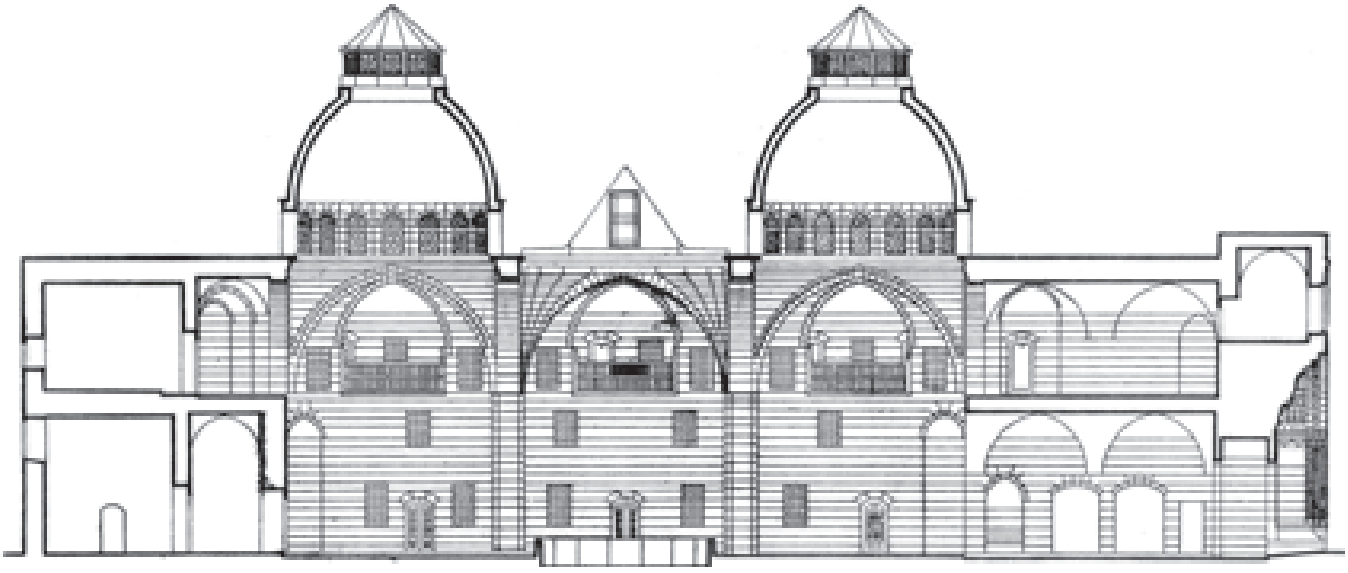

مقطع لخان أسعد باشا العظم في دمشق.

الرئيسي، وهو يتألف من خمس وأربعين غرفة خُصِّصت للإقامة، تبلغ أبعادها الوسطية ٣,٥×٥ أمتار، زود معظمها بمحاريب وكتبيات جدارية، تم إكساؤها جميعًا بالطينة والكلسة التقليدية، وغُطّيت كلٌ منها بقبوات حجرية متصالبة، ولكلٍ منها باب خشبي وشباك مغشى بمصبعات حديدية أصلية، وتفتح كل الأبواب والشبابيك على الرواق الذي يتقدمها، والمبلط والمغطى بالعقود المتقاطعة، والذي يلتفّ حول الواجهات الداخلية الأربع للفناء، ويفتح عليه من كل جهة ببائكة من ثلاثة عقود ضخمة مدببة يتقدمها جميعًا درابزون خشبي. كما يتوصل عبر فتحة دهليز في وسط الرواق الشمالي إلى ملحقات خدمية.

ويتميز الخان إضافة لدقة نسب عناصره المعمارية المميزة، بأسلوب بنائه المنفذ بالكامل بالحجر الأبلق؛ حيث يعطي تبادلُ ألوان مداميك البناء المكان جلالًا وأناقة وتفردًا قل نظيره في مبانٍ أخرى مشابهة، كما جاءت زخارفه سواء المنفذة على خوذ القبابِ أو على الأبواب الخشبية والنوافذ والأرضيات منسجمة مع البعد التصميمي والجمالي والوظيفي للبناء، كما تزيد هندسة توزيع الضوء والظل، إضافة لصوت نوافير الماء في البركة التي تتوسط الفناء؛ من الشعور بهيبة المكان، ويعطي شعورًا بالارتياح لزائريه.

يقدم هذا الخان بكل ما فيه مثالًا معماريًّا مميزًا قل تكراره. وقد أُعجِب الشّاعر الفرنسي الشهير ألفونس دو لامارتين بهذا الخان عندما زاره سنة ١٨٣٣م؛ حيث اعتبره أجمل خانات المشرق، وذكر في كتابه «رحلة إلى الشرق» أن قبابه التسع تذكره بفن عمارة البندقية في عصر النهضة، حيث عظمة وضخامة قبة القديس بولس في روما، وكتب يقول عنه: «من أجمل خانات الشرق، وإن شعبًا فيه مهندسون لهم الكفاءة لتصميم مثل هذا الخان، وعمال قادرون على تنفيذ مثل هذا البناء، لجدير بالحياة والفنِّ».

وكان يلحق بالخان مسجد ما زال يقع في الزاوية الشمالية الغربية للبناء، وكان يتوصل إليه من الخان عبر دهليز يقع بالزاوية الشمالية الغربية للفناء، ولكنه أغلق اليوم ففُصل عنه وجُعل للمسجد مدخل مستقل يفتح جهة الغرب على سوق البزورية أيضًا. وقد ذكر ولزنجر Wulzinger وكارل واتزنجر C. Watzinger أن المسجد المذكور كان موجودًا قبل بناء الخان، وقد حافظ مصمم الخان على هذا المسجد وجعل له بابًا منفصلًا يطل على سوق البزورية مباشرة.

والمدخل الحالي للمسجد عبارة عن باب صغير، تعلوه قوس حجرية، تظلله مئذنة خشبية صغيرة تبرز سمت الجدار الغربي للخان، ويتوصل من المدخل إلى دهليز يفضي إلى حرم الصلاة، وهو مساحة مستطيلة مسقوفة بقبوة برميلية مدببة، يتم الصعود من الحرم إلى مصطبة عبر ثلاث درجات، هذه المصطبة مستطيلة الشكل مسقفة بقبوة برميلية مدببة تحتوي على مقامين؛ أحدهما للصحابي عبيد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما، والثاني للعارف بالله الشيخ محمد البزوري.

نموذج من الأبواب والشبابيك والمصبعات الحديدية الموجودة بخان أسعد باشا العظم في دمشق.

الرواق الذي يتقدم غرف الطابق العلوي لخان أسعد باشا العظم في دمشق.

لوحة قديمة تصور الحياة داخل خان أسعد باشا العظم في ذروة نشاطه الوظيفي آنذاك.

وقف

بسم الله الرحمن الرحيم وقف وحبس وسبل وابد العبد الفقير الى الله تعالى
حصن المسلمين ملجأ القاصدين ابو سعد سيف الدين ركن بن عبد الله الشافعي الملكي الناصري بعده الله تعالى الفضل العظيم
جميع هذه الربعة الشريفة وعدتها ثلثون جزءا على كافة المسلمين ينتفعون بذلك في القراءة والنقل
والمطالعة والدراسة وشرط الواقف للذكور ان هذه الربعة المذكورة لا تخرج من الذرية المذكورة ولا تعار ولا تخرج الا
للاصلاح وجعل النظر في ذلك لنفسه طول حياته ثم من بعده للذرية الارشد فالارشد وذريته ذرية فاذا انقرض
الذرية ولم يبق منهم احد يكون النظر للشيخ المقيم بالتربة المذكورة يجري الحال في ذلك كذلك ما ابقى الله الارض
ومن عليها وهو خير الوارثين فمن بدل ما شرطه فانما اثمه على الذين يبدلونه
ان الله سميع عليم وقع اجر هذا الواقف على الله عز وجل الذي لا يضيع اجر من احسن عملا وذلك سابع
من شهر جمادى الاخرة سنة ست وستين وسبعمائة